Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تدعى (أم النسور).

وبين فراق الأب لابنته ولقائه بها، دارت أحداث الرواية زمنياً، وهي أحداث تكشفتْ عن معاناة قاسية لـ (هدية) في منزل شيخ القرية، وعن قهْر وإذلال لها، ولولدها (عنيدان) الذي ورث سواد البشرة عن أبيه. أما (عنيدان) هذا، فقد تعرَّف إلى أستاذ القرية، واسمه (سلمان)، ولازمه كظلّه، وتعلم منه أشياء هامة، كان أبرزها أن له حقا عند الشيخ (هدّاد). وتمثّل هذا الحق بالفرس (الصهباء) التي رمتْ (سحيمان) عن متنها، فدقت عنقه، ومات... وقد كانت هذه الفرس غالية على نفس الشيخ، فرفض طلب (عنيدان) بقوة، علماً بأنه هو الذي دبّر قتْل أبيه، لأن هذا المرابع، كاد يهزم ذات مرة ولي نعمته في سباق للخيل، قام في القرية، فحقد عليه شيخها، ودبّر له مؤامرة أودت بحياته.

وإذْ يصر (عنيدان) على حقّه، انسجاماً مع العرف، ومع مغزى (قصّة الثور غندور) التي رواها له معلمه سلمان، تثور ثائرة الشيخ، ويدبر له ولأمه (هدية) عملية تهجير من القرية، إذ يتفق مع (أبو مروان) على أن يعمل الاثنان في منزله خدَماً، مقابل لقمة العيش، فحسب.

وفي المدينة –حيث (أبو مروان)– تتطور الأحداث، وتتعقد الأمور، فتنشأ علاقة حب مابين (عنيدان) وابنة (أبو مروان): (هيفاء)، وتحمل (هيفاء) من (عنيدان) سفاحاً، مثلها مثل (هدية). ثم تجهض حملها، وتتزوّج إلى مهندس زراعي يدعى (مازن الخضراوي).

ولكن (عنيدان) كما أُبْعد مع أمه من (المريجة) أولاً، أبعد ثانياً من منزل (أبو مروان) إلى بناية شاهقة في المدينة، في قبوها ملهى ومرقص. وهناك نراه يعمل نادلا في الملهى، ثم يضيق ذرعا بعمله المهين هنا، وتنتهي حياته بالسقوط من سطح البناية، فيموت كما مات أبوه سقوطاً من على ظهر الفرس (الصهباء)..!

أما الأم فتعود إلى بيت (أبو مروان)، ثم تنتقل إلى العمل خادمة، في بيت (هيفاء) زوجة (مازن) التي كان يمكن أن تكون كنّة لها لولا موت (عنيدان)، ولكن الفروق الاجتماعية لاتسمح لهيفاء البيضاء بالاقتران بعنيدان الأسود.

وعندما تقرر (هيفاء) السكن في قرية (أم النسور) مع زوجها (مازن) تلتقي (هدية) بأبيها (هزّاع الدوش) لتقول له في آخر الرواية: "أنا امرأة صالحة، أنا بريئة، اطلبْ من السماء ثانية أن تعاقبهم يا والدي"– (الرواية ٣٧٨).